

שם המחקר: צמיחה אישית של אמהות ערביות המגדלות ילד עם וללא נכות אינטלקטואלית

שנה: 2014

מס' סידורי: 589

שם המגישה: למיס עודה

מנחים: פרופ' שונית רייטר וד"ר ליאורה פינדלר

מוסד: אוניברסיטת חיפה

עבודת גמר זו לתואר שלישי (דוקטורט) נערכה בסיוע מלגה מקרן שלם

اسم البحث: النمو الشخصي عند الأمهات العربيات اللواتي يُنشئنُ طفلاً مع أو بدون إعاقة ذهنية عقلية وتطويرية

عام: 2014

الرقم الكتالوجي: 589

اسم الباحث: لميس عودة

المرشدون: بروفيسور شونيت ريطر

د. ليئوره فيندلر

السلطة الباحثة: جامعة حيفا

كُتِبَ بهدف الحصول على لقب "دكتور فلسفة" من كلية التربية والتعليم، قسم التعليم الخاص

#### ملخص البحث

#### الخلفية، الهدف والنموذج البحثي

تقترن تربية طفل مع إعاقة غالبًا بتحديات عديدة، وهي تضع في وجه عائلة الطفل صعابًا جمّة غير عابرة من شأنها المسّ بالرفاهية الذاتية، بل والتسبّب بمعاناة مزمنة (Olsson & Hwang, 2001; Ha-Hong, Seltzer, & Greenberg, 2008; Beresford, Rabiee, & sloper, 2007; Roach, Orsmond, & Barratt, 1999). من بين الصعاب عوارض الكُرب النفسي والشعور بالضيق والأزمة المتواصلة التي قد تؤوّل إلى المسّ بالصحة النفسية لدى الوالدين عموماً والأمهات خصوصاً (mental health) - (Seltzer et al., 2001; Singer, 2006). كثيراً ما تشعر الأم بصعاب عدة وبأحاسيس سلبية قد تستنفد مواردها الشخصية وتضعف الوسائل التي بجعبتها للتكيّف والمواجهة. مع ذلك، فإن غالبية الأمهات اللواتي ينشئنُ طفلاً مع إعاقة يتكيّفنَ لوضعهنّ الجديد، بل ويشعرنَ أحياناً بنمو شخصي (Affleck & Tennen, 1993; Scorgie & Sobsey, 2000). لا شك في أن طرق المواجهة تختلف من والدة إلى أخرى، من عائلة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى.

يركّز هذا البحث على أمهات الأطفال المصابين بالإعاقة الذهنية في المجتمع العربي في إسرائيل. لم يُدرّس هذا الجمهور إلا قليلاً. علاوة على ذلك، فإن ما نعرفه عن هذه العائلات في العالم العربي شحيح. يحاول البحث استكشاف الموارد الداخلية والخارجية التي يمكنها أن تساهم في النهوض بالرفاهية والنمو الشخصي للأمهات اللواتي ينشئنُ طفلاً مع إعاقة ذهنية مقارنةً بأمهات الأطفال الذين ينمون نمواً طبيعياً.

للإجابة عن السؤال الذي طرحه البحث، اختير نموذج بحثي يمازج بين التوجّه الكمي والتوجه النوعي. في البحث الكمي تم فحص مستويات المتغيّرات التالية: الكُرب، الرفاهية النفسية، النمو الشخصي والموارد الداخلية – كأسلوب المواجهة والشعور بالتماسك – والموارد الخارجية، كالدعم الاجتماعي. كما وتمّ فحص الصلات بين متغيّرات البحث، وعويّنت مساهمتها الخاصة والمدمجة في النمو الشخصي لمجمل أمهات البحث ورفاهيتهنّ النفسية. في الجزء النوعي جرى فحص معنى الأمومة للطفل مع إعاقة ذهنية في المجتمع المذكور.

#### افتراضات البحث الأساسية

1. شدّة الكرب والمواجهة التي تركّز على الإحساس تحتلان مستوى أعلى في مجموعة البحث، أما في المجموعة التجريبية فإن المواجهة التي تركّز على المشكلة والشعور بالتماسك والدعم الاجتماعي والرفاهية النفسية والنمو فإنها تحتلّ مستوى أعلى.

2. الإحساس بالرفاهية النفسية والنمو الشخصي يقفان على مستوى أعلى بقدر ما يكون مستوى الكرب أكثر انخفاضاً، وبقدر ما يكون الشعور بالتماسك أقوى، وكلما ركزت المواجهة على المشكلة أكثر وأقل على العواطف، وكلما كان الدعم الاجتماعي أكثر قوة.
3. ثمة في كلا المجموعتين علاقة إيجابية بين الإحساس بالرفاهية النفسية والنمو الشخصي.

#### طريقة البحث

شاركت في الجزء الكمي من البحث 89 والدة لأطفال مع إعاقة ذهنية، و-105 والداً لأطفال ذوي تطور طبيعي. تتشابه الأمهات في المجموعتين بالموصفات التالية: منطقة السكن، المستوى الثقافي، عدد الأطفال، السن والعمل. جرى جمع المعلومات من الأمهات إما بمقابلتهن مباشرة أو بالحديث معهن على الهاتف، وقد ملأت الأمهات الاستبيانات التالية بمساعدة كاتبة هذا العمل أو مساعدة البحث:

1. استبيانات تتناول الكرب: (أ) استبيان عن أحداث عامة في المسيرة الحياتية؛ (ب) استبيان عن أحداث خاصة في المسيرة الحياتية (وهو موجّه فقط للأمهات اللواتي ينشئن طفلاً مع إعاقة ذهنية).
2. استبيانات تتناول موارد الأم الداخلية (أ) استبيان عن التماسك؛ (ب) استبيان عن أسلوب المواجهة.
3. استبيان يتناول موارد الأم الخارجية – الدعم الوظيفي الذي تقدّمها الشبكة الاجتماعية.
4. استبيانات تتناول التكيف النفسي والنمو الشخصي بعد تلقّي الصدمة.

في الجزء النوعي من البحث أُجريت 13 مقابلة معمّقة مع والداً لأطفال مع إعاقة ذهنية. حاولت الأسئلة رصد ردود فعلهنّ الشخصية على وضعهن، بما في ذلك مدلولات هذا الوضع بالنسبة لهنّ وعلاقتهنّ بمحيطهنّ العائلي والاجتماعي.

#### المستخلصات الكمية

في المجموعة البحثية، مقابل المجموعة التجريبية، رُصدت مستويات كرب أعلى واعتماد أسلوب مواجهة يركّز على المشكلة. تبين كذلك أن الأمهات في المجموعة البحثية تلقين دعماً أداتياً أكثر مما نلنّه من دعم عاطفي. في المقابل، لم تظهر فروق ذات شأن بين المجموعة البحثية والمجموعة التجريبية من حيث الشعور بالتماسك، ومستوى الدعم العاطفي، ومدى الرفاهية النفسية والنمو الشخصي. كما وتبين كذلك أن مستوى الكرب في كلا المجموعتين هو في أطراد عكسي مع مستوى الرفاهية، علماً بأن هذه العلاقة السلبية بدت بصورة أقوى بين أمهات الأطفال مع إعاقة.

تلقت المجموعة البحثية دعماً أداتياً أكبر من الدعم العاطفي، وهو أمر يشير إلى أن الدعم الصادر عن العائلة المقربة وجد انعكاساً له في المقام الأول بتقديم المساعدة في المهام اليومية، وانعكس أقل في المشاطرة العاطفية، علماً بأن المجتمع العربي لا ينحو إلى الكشف عن العواطف.

عدم اختلاف المجموعتين من حيث درجة التماسك يدعم الموقف القائل إن الشعور بالتماسك هو مورد ثابت في حياة الإنسان. بالرغم من الخضبة التي يتعرض لها الإنسان في أوقات الأزمات، فإن التماسك يستتبّ مع مرور الزمن على مستوى ما (Antonovsky, 1987).

عدم وجود فروق في مستوى الرفاهية بين الأمهات، ينسجم مع ما خلصت إليه مجموعة من البحوث التي لم تجد فروقاً في مستوى الرفاهية النفسية بين ذوي الأطفال مع إعاقة مقارنةً بذوي الأطفال غير المصابين بإعاقات (Baker et al., 2003; Cadman, Rosenbaum, Boyle, & Offord, 1991; Flaherty & Gilden, 2000; Gowen, Johnson-Martin, Goldman, & Appelbaum, 1989; Harris & McHale, 1989; Van-

(Riper, Ryff, & Pridham, 2007). في الوقت نفسه، قد تكون هذه النتيجة انعكاسا للقيم الثقافية في المجتمع العربي ولكيفية رؤيته لمفهوم الأمومة ومكانتها المركزية في ثقافته.

ثمة في كلا المجموعتين صلة إيجابية بين التماسك والرفاهية النفسية. لكن العلاقة الإيجابية بين أسلوب المواجهة المنصب على المشكلة والدعم الاجتماعي الأداة، من جهة، والرفاهية النفسية من الجهة الأخرى - فلم تظهر إلا في المجموعة البحثية. يبدو أن الدعم الأداة الذي تلقته أمهات الأطفال مع إعاقة قد خفف من محتجبات العاطفية. تتفق هذه المستخلصات مع مستخلصات سابقة تشهد على أن مستوى الدعم يؤثر في قدرة الأهل على حل المشاكل وفي مستوى تكيف الطفل المصاب بالإعاقة (Lardieri, Blacher, & Swanson, 2000).

وسط الأمهات في كلا المجموعتين وجدنا علاقة إيجابية بين أسلوب المواجهة الذي يركز على المشكلة والنمو الشخصي. لكننا لم نجد إلا في المجموعة البحثية علاقة إيجابية بين مستوى التماسك والدعم الاجتماعي، من جهة والنمو الشخصي من الجهة الأخرى. في المقابل، لم نجد في كلا المجموعتين علاقة بين شدة الكرب والنمو الشخصي. يبدو هذا المستخلص على تناقض مع المستخلصات السابقة التي زعمت أن النمو هو نتاج للتغيير والكرب، وأنه لا يظهر إذا لم يتعرض الإنسان إلى أزمة تخصه (Taubman-Ben-Ari, Findler, & Kuint, 2010; Tedeschi & Calhoun, 1998). لعلنا نستطيع أن نستنتج من هذه المستخلصات إلى أن نمو الأمهات الشخصي نشأ في أعقاب تجربة الأمومة ومكانتها المركزية في المجتمع العربي. كما وإن الإحساس القوي بالتماسك ساعد الأم على استيعاب الأزمة وإدارتها، بل واستمداد المغزى منه. علاوة على ذلك، فإن الدعم الذي تلقته الأم من العائلة والأصدقاء مكّنها كذلك من الاقتناع عملياً بأن هناك بيئة تدعمها للتغلب على الشعور بالخجل وعلى وصمة العار. بل وأن تنمو.

فخص ما تمنحه الموارد الداخلية والخارجية وميزات الخلفية من مساهمة خاصة ومتشابهة للرفاهية النفسية والنمو الشخصي يُظهر أن المتغيرات التي ساهمت في دعم الرفاهية النفسية تمثلت في الوضع الاقتصادي، والكرب العام، والشعور بالتماسك، والمواجهة التي تركز على المشكلة، والمواجهة التي تركز على العاطفة، والدعم الاجتماعي. في المقابل، المتغيرات التي ساهمت في النمو الشخصي تمثلت في عدد الأطفال، والمستوى الثقافي، والتماسك، والمواجهة التي تركز على المشكلة. يعكس الفرق بين نمطي العلاقة الفرق الأساسي بين الرفاهية والنمو.

لقد أظهر البحث أن اتصال النمو الشخصي بالرفاهية النفسية اقتصر فقط على الأمهات من المجموعة البحثية. من هنا يمكننا القول بأنه في ظل الوضع الخاص لأمهات الأطفال مع إعاقة ذهنية في المجتمع العربي لا بد لهؤلاء من التكيف النفسي كسبيل لتحقيق النمو الشخصي.

#### المستخلصات النوعية

يعرض الجزء النوعي مستخلصات عن ماهية الأمومة لطفل مع إعاقة ذهنية في المجتمع العربي. رأت الأمهات التي جرى الحديث معهن في الأمومة تجربة شمولية، شخصية وداخلية تمنحهن إحساسا بالقيمة الذاتية والقوة والتحكم بما يجري، إلى جانب الحنان والرفقة. في هذا المجتمع، الذي يرى بغالبه أن جوهر المرأة يكمن في أن تكون أمًا وأن تدير أعمال البيت، تتحول الأمومة أحيانا إلى التجربة ذات الشأن الأكبر في حياة المرأة (ويسبرود، 1999: غانم، علي وأبو جابر نجم، 2005).

لم تذكر الأمهات أزواجهن خلال المقابلات إلا نادرا. يتفق هذا المستخلص مع مستخلصات لأبحاث سابقة أظهرت أن وجود طفل مع إعاقة ذهنية يكرس تقاسم الوظائف التقليدي في المنزل (عودة، 2007؛ عتصاه پوريه وبراق ليشي، 2011؛ Rowbotham, Carroll, & Cuskelly, 2010). لقد عكس كلام الأمهات كذلك ابتعاداً عن العائلة الموسعة. يبدو أن اللقاءات العائلية التي تجمع أفراد العائلة الموسعة بحضور كل الأطفال من البيئة البيئية (البنية العائلية) يصحبها شعور الأمهات بالأسى والخجل نتيجة انكشاف الخلل في ثمره بطونهن. من هنا فقد فضّلن عدم طلب الدعم.

كثيرا ما سمعنا تأكيدا من الأمهات أن المجتمع يضع العراقيين في وجوههن ويتصرف معهن وكأنه يحاكمهن. وقد أشرن بأن المجتمع لا يرغب عموما باستيعاب الطفل مع إعاقة ذهنية، ويرفض اعتباره جزءا منه. غياب الدعم ومشاعر العزلة وانحصار الرعاية لهؤلاء الأطفال فيهن

وحدهنّ أدخلت المخاوف من المستقبل في نفوسهنّ. وقد اعتبرت الأمهات خروجهن إلى العمل خارج جدران البيت عارا وحالة تشي بالإهمال. العمل خارج البيت هو في نظرهن دليل على أخفاقهنّ بوظيفتهنّ.

مع ذلك، فقد أبدت الأمهات سلوكا ذا طابع مجاهبي أو يسعى إلى إملاء الوقائع، ما لا يتماشى والنظام الاجتماعي. بعض أشكال تعامل الأمهات مع إعاقة أطفالهنّ تتمثل في إصرارهن على إدماجهم في المجتمع والوقوف إلى جانبهم، في تحدٍ للمجتمع بأسره أحيانا. لقد فعلن ذلك بطريقتهنّ هنّ ونظرا للمسؤولية الكبيرة والحصرية التي يشعرا بها. لقد أدت بهنّ ظروفهن الخاصة ووضعهن وظيفتهنّ الأمومة في رأس سلم اهتماماتهنّ إلى الانحراف عن الوظيفة التقليدية التي حُدِّدت لهنّ.

نلاحظ هنا أن الأمهات أظهرنّ أنهنّ يبادرنّ، بل ويجاهرنّ إذا اقتضت الضرورة. لقد أظهرنّ أنفسهنّ نساءً جازمات ولا يخضعنّ لأي تبعية حين تستدعي الحاجة قيامهن بوظيفتهنّ على النحو الذي يفضّلنه (أن يقمنّ بدور نشط في المنزل أو أن يُدمجنّ الطفل في مجتمعهن). التغييرات التي شهدتها واقع أمهات الأطفال مع إعاقة ذهنية ليست نموذجية لطريقة تصوير النساء في المجتمع العربي، بل لعلنا نرى هنا مثلا للقوة التي يمكن للنساء في المجتمع العربي أن تستخدمها لمساندة قيمتهن الشخصية. يمكن عرض القوة التي تبديها الأمهات (في وجه المجتمع والعائلة الموسّعة وفي مواجهتهنّ اليومية) من خلال المصطلح "مساومة النظام الأبوي" (Bargaining with Patriarchy)، الذي وضعه دنيز كنديوتي (Kandiyoti, 1988).

بالآساق مع هذه التغييرات أفادت الأمهات عن تعزّز ثقتهنّ بالنفس وعن شعورهن بالتشاعر والرشد، ما يتماشى مع اعتمادهنّ استراتيجيات المواجهة التي تركّز على المشكلة، كما يظهر في البحث الكمي. علاوة على ذلك، أفادت الأمهات عن حدوث تغييرات متعددة الجوانب في علاقتهنّ مع الآخرين وفي مواردهنّ الاجتماعية. فقد نمّينّ شبكة علاقات تقوم على ثقة أكبر مما سبق مع الأصدقاء والعائلة، ويبدو أن مواجهة الأزمة قادت إلى حدوث تقارب بين أفراد العائلة وشعورهم بالتقدير بعضهم لبعض. كما وبلغت الأمهات عن تنامي شعورهنّ بوحدة الحال مع العائلات المشابهة وتعزّز مشارطتهنّ الوجدانية وتعاطفتهنّ مع الآخر ومع المعاناة الإنسانية، إلى جانب ازدياد تقديرهنّ للموارد الاجتماعية، وتطويرهنّ للمهارات في التعامل مع الآخر واتساع دوائر انتمائهنّ. يتّضح إذن أن الأمهات نجحنّ في اكتشاف إمكانيات إضافية في حياتهن وأن يغزّرنّ، بحسب الحاجة، منظومة مفاهيمهنّ ومعتقداتهنّ وقيمتهنّ. لقد وجدت هذه التغييرات ترجمة لها في عدة ميادين: رؤية الذات، رؤية الآخرين (أو العلاقة مع الآخرين)، رؤية العالم، وفلسفة الحياة. مقاييس هذه التغييرات تتفق مع الميادين التي يوردها النموذج الكلاسيكي للنمو من الأزمات الذي وضعه تديسكي وكلّهون (Tedeschi & Calhoun, 1995).

تجلّت بعض جوانب النمو لدى الأمهات في انشغالهنّ بالأسئلة الوجودية والروحية والعلاقة الخاصة مع الله. ذهب بعضهنّ إلى اعتبار إعاقة طفلهنّ بركة حلّت عليهن. قد يكون نموّهنّ الشخصي ذا صلة بالنحو الذي فهمنّ فيه المواجهة التي تنطوي عليها تنشئة الطفل المصاب بالإعاقة. لقد رأينّ في ذلك ليس عملا شاقا فحسب بل وأداء رسالة كذلك انطلاقا من الإيمان بأن لفعل هذه التنشئة هدفاً ورسالة موضوعين أمام الوالدين وأمام أفراد العائلة، وأن صعوبة المواجهة تضرر بين طياتها غايةً في الحياة. إهنّ يؤمنّ أن الله يمتحنهنّ، وأنه يتحتّم عليهن تحقيق النجاح في هذا الامتحان لكي يلقينّ في المستقبل الجزاء الذي يستحقّنه.

#### الخلاصات والاستنتاجات

يتيح البحث التعرف من خلال زاوية خاصة على المواجهة التي تخوضها أمهات الأطفال مع إعاقة ذهنية في المجتمع العربي، مع أن جمهور البحث اقتصر على النساء المسلمات فحسب. تشهد المستخلصات بأنه بالرغم من الأزمة التي تلازم تنشئة الطفل مع إعاقة ذهنية، فإن الأمهات قادرات على المواجهة والمجاهمة، بل وحتى طرح تغييرات داخلية تشهد على نمو شخصي. من شأن مستخلصات البحث تشجيع أمهات الأطفال مع إعاقة ذهنية في المجتمع العربي على اعتماد موقف متفائل. زد على ذلك، يمكن للبحث أن يشكّل مصدرا لطرح برامج تدخّل من شأنها تحسين جودة حياة تلك الأمهات وحياة أطفالهن. من جملة الأمور، أظهر البحث أهمية المشاطرة في التجارب العاطفية المشتركة، فقد بيّن أن الأمهات يفضّلنّ قضاء الوقت مع العائلات التي تعيش أزمة مشابهة. من هنا، فإن توسيع منظومة الاستشارة المقدمّة للأهل، وعقد

اللقاءات مع أمهات الأطفال مع إعاقة ذهنية قد يشكّلان تعويضا للأمهات عن الثمن الاجتماعي الذي يدفعه، والذي قد يصل حدّ العزل والتهمك. من المهم إذن تقويتهم ودعمهم، بل ومساعدتهم على استكشاف القوى الخاصة المختزنة فيهم.



- [النص الكامل](#)
- [أرشيف بحوث صندوق شاليم](#)
- [الأدوات البحثية لصندوق شاليم](#)